أشعار خارجة على القانون

نزار قباني

حبيبتي !

لأن من يحب في مدينتي مجنون

لأنهم في بلدي

يصنفون الحب في مرتبة الحشيش والأفيون

ويشنقون باسمه ..

ويقتلون باسمه ..

ويكتبون باسمه القانون

قررت يا حبيبتي

قررت أن أحترف الأشعار والجنون !!

منشور سري جداً

العالم عشق .. فاتحدوا يا أهل العشق

ما زال أبو لهب يتمطى فوق وسائد هذا الشرق

يتسلى في قص الحلمات ..

وقطع الثدي ، وضرب العنق

فتلاقوا مثل مياه البحر ، وفيضوا مثل نهور العشق

وافترشوا أوراق الصفصاف ، وناموا في أجفان البرق

فأنا ما زلت أقول لكم :

لا شيء سيبقى إلا العشق ..

لا شيء سيبقى إلا العشق ...

بلاغ شعري رقم 1

إيّاكِ أن تتصوّري

أني أفكر فيكِ

تفكيرَ القبيلة بالثريدِ

وأريدُ أن تتحوّلي حجراً أطارحه الهوى

وأريد أن أمحو حدودكِ في حدودي

أنا هاربٌ من كلّ إرهابٍ

يمارسهُ جدودكِ أو جدودي

أنا هاربٌ من عصر تكفين النساء

ومن عصر تقطيع النهودِ

فضعي يديك كنجمتين في يدي

فأنا أحبكِ كي أدافع عن وجودي

*

إياكِ أن تتخيلي أني أفتشُ

عن مغامرة وأسلابٍ وعن غزوٍ جديدِ

أو أن تحسبي

أني سأحكم في الفراش بمفردي

لا فرق عندي إن أردتِ ولم تريدي

لا أنتِ من صنف العبيد

ولا أنا أهتمُّ في بيعِ العبيدِ

إني أحبكِ جدولاً وحمامةً

ونبوءةً تأتي من الزمنِ البعيدِ

وقصيدةً وعدت ولم تحضر

ومكتوباً غرامياً يزقزقُ في بريدي

وأنا أحبكِ في طموح البحر

وفي غزلِ الرعودِ مع الرعودِ

وأنا أحبكِ في احتجاج الغاضبين

وفي فرحة الأحرار في كسر الحديدِ

وأنا أحبكِ في وجوه القادمين

لقتل هارون الرشيدِ

هل تصبحين شريكتي

في قتل هارون الرشيدِ

محاكمة غير شرعية

إذا كانت مكاتيبي الغرامية

تشكل أي عدوان على أحدٍ ..

إذا كانت مكاتيبي الغرامية ..

بثورتها ..

وجرأتها ..

ونبرتها الطفولية

ستقلب حولك الدنيا

وتقتل ألف درويش ..

وتشعل ألف معركةٍ صليبية ..

فلا تستغربي أبدا ..

أيا عصفورة الصيف الرمادية

إذا أبصرتِ أوراقي ..

معلقة على بوابة المدنُ النحاسية

فإن الحب تحكمه سيوفُ الإنكشارية

ولا تستغربي أبداً ..

إذا اغتالوا أزاهيري ..

فهذا العصر يؤمن بالأزاهير الصناعية ..

ولا تبكي علي إذا أدانوني

وقالوا عن كتاباتي: إباحية

فكل محاكم العشاق في وطني

محاكم غير شرعية ...

بيروت والحب والمطر

انتقي أنت المكان

أي مقهى، داخل كالسيف في البحر،

انتقي أي مكان

إنني مستسلم للبجع البحري في عينيك،

يأتي من نهايات الزمان

عندما تمطر في بيروت

أحتاج إلى بعض الحنان

فادخلي في معطفي المبتل بالماء

ادخلي في كنزة[1] الصوف

---

[1] الكنزة هي البلوفر أو الجيرس عندنا في مصر.

وفي جلدي .. وفي صوتي

كلي من عشب صدري كحصان

هاجري كالسمك الأحمر

من عيني إلى عيني

ومن كفي إلى كفي

ارسمي وجهي على كراسة الأمطار، والليل ،

وبللور الحوانيت، وقشر السنديان

طارحيني الحب .. تحت الرعد ، والبرق

وإيقاع المزاريب

امنحيني وطنا في معطف الفرو الرمادي

اصلبيني بين نهديك مسيحاً ..

عمديني بمياه الورد .. والآس .. وعطر البيلسان ..

عانقيني في الميادين

وفوق الورق المكسور

ضميني على مرأى من الناس

ارفضي عصر السلاطين

ارفضي فتوى المجاذيب

اصرخي كالذئب في منتصف الليل..

انزفي كالجرح في الثدي ..

امنحيني روعة الإحساس بالموت

ونــُعمَى الهذيان

عندما تمطر في بيروت

تنمو لكآباتي غصون، ولأحزاني يدان

فادخلي في كنزة الصوف .. ونامي

نحن تحت الماء يا نخلة روحي .. نخلتان

***

ليس في ذهني قرار واضح

فخذيني حيثما شئت

اتركيني حيثما شئت

اشتري لي صحف اليوم .. وأقلام رصاص

ونبيذا .. ودخان

هذه كل المفاتيح .. فقودي أنت

سيري باتجاه الريح والصدفة

سيري في الزواريب التي من غير أسماء

أحبيني قليلا..

واكسري أنظمة السير قليلا..

واتركي لي يدك اليمنى قليلا

فذراعاك هما بر الأمان

***

ليس للحب ببيروت خرائط

لا ولا للعشق في صدري خرائط

فابحثي عن شقة يطمرها الرمل

ابحثي عن فندق لا يسأل العشاق عن أسمائهم

سهريني في السراديب التي ليس بها

غير مُغن وبيان

***

قرري أنت إلى أين

فإن الحب في بيروت

مثل الله في كل مكان

شكرا

شكراً لحبك..

فهو معجزتي الأخيرة..

بعدما ولى زمان المعجزات.

شكرا لحبك..

فهو علمني القراءة، والكتابة،

وهو زودني بأروع مفرداتي..

وهو الذي شطب النساء جميعهن .. بلحظة

واغتال أجمل ذكرياتي..

شكرا من الأعماق..

يا من جئت من كتب العبادة والصلاة

شكرا لخصرك، كيف جاء بحجم أحلامي،

وحجم تصوراتي

ولوجهك المندس كالعصفور،

بين دفاتري ومذكراتي..

شكرا لأنك تسكنين قصائدي..

شكرا...

لأنك تجلسين على جميع أصابعي

شكرا لأنك في حياتي..

شكرا لحبك..

فهو أعطاني البشارة قبل كل المؤمنين

واختارني ملكا..

وتوجني..

وعمدني بماء الياسمين..

شكرا لحبك..

فهو أكرمني، وأدبني ، وعلمني علوم الأولين

واختصني، بسعادة الفردوس ، دون العالمين

شكرا..

لأيام التسكع تحت أقواس الغمام، وماء تشرين الحزين

ولكل ساعات الضلال، وكل ساعات اليقين

شكرا لعينيك المسافرتين وحدهما..

إلى جزر البنفسج ، والحنين..

شكرا..

على كل السنين الذاهبات..

فإنها أحلى السنين..

*

شكرا لحبك..

فهو من أغلى وأوفى الأصدقاء

وهو الذي يبكي على صدري..

إذا بكت السماء

شكرا لحبك فهو مروحة..

وطاووس .. ونعناع .. وماء

وغمامة وردية مرت مصادفة بخط الاستواء...

وهو المفاجأة التي قد حار فيها الأنبياء..

شكرا لشعرك .. شاغل الدنيا ..

وسارق كل غابات النخيل

شكرا لكل دقيقة..

سمحت بها عيناك في العمر البخيل

شكرا لساعات التهور، والتحدي،

واقتطاف المستحيل..

شكرا على سنوات حبك كلها..

بخريفها، وشتائها

وبغيمها، وبصحوها،

وتناقضات سمائها..

شكرا على زمن البكا ، ومواسم السهر الطويل

شكرا على الحزن الجميل ..

شكرا على الحزن الجميل ..

خربشات طفولية

خطيئتي الكبيرة الكبيرة

أني ، يا بحرية العينين ، يا أميرة

أحب كالأطفال

وأكتب الشعر على طريقة الأطفال

فأشهر العشاق يا حبيبتي

كانوا من الأطفال

وأجمل الأشعار ، يا حبيبتي

ألفها أطفال

خطيئتي الأولى وليست أبدا خطيئتي الأخيرة

أني أعيش دائما بحالة انبهار

وأنني مهيأ للعشق يا حبيبتي

على امتداد الليل والنهار

وأن كل امرأة أحبها

تكسرني عشرين ألف قطعة

تجعلني مدينة مفتوحة..

تتركني وراءها غبار

خطيئتي ...

أني أرى العالم يا صديقتي

بمنطق الصغار

ودهشة الصغار

وأنني أقدر في بساطة

أن أرسم النساء في كراستي

بهيئة الأشجار

وأجعل النهد الذي أختاره

طيارة من ورق

أو زهرة مــن نـــار

*

خطيئتي ....

ومن منا كان بلا أخطاء

أني بقيت مؤمنا بزرقة السماء

وأني أعتبر الأشجار، والنجوم ، والغيوم أصدقاء

وأنني جعلت قصائدي

عاصمة تحكمها النساء

فأي ثغر مغلق

يقول في مملكتي جميع ما يشاء

وأي نـهد خائف ..

يقدر أن يطير أو يحط..في الوقت الذي يشاء

خطيئتي ...

إن كنت تحسبينـها خطيئـة

أنـي من طفولتـي ...

أبحث عن جنية نـائمة بغابـة

مرآتـها بـحيرة ..

ومشطها سحابـة

خطيئتي ...

أنـي أظل دائما ..منتظراً قصيدة ..

تجئ من شواطئ الغرابـة

وأننـي أدرك يا حبيبتي

كيف يكون الموت في الكتابة

*

خطيئتي ...

أنـي نقلت الحب من كهوفــه

إلى الـهواء الطلق

وأن صدري صار يا حبيبتي

كنيسة مفتوحة لكل أهــل العشق

من الأرشيف

((مع حبي للأبد))

(من خطاب لفلانة)

((مع أشواقي التي ليست تموت ..))

(تحتها توقيع ريم)

((إنني عاشقة حتى النهاية ..))

(صورة مأخوذة بين بنات المدرسة .. وعليها حرف ميم ..)

((وسأبقى يا حبيبي لك وحدك ..))

(صورة أخرى على البحر عليها حرف سين)

.. وقضيتُ الليلَ أسترجعُ أوراقي القديمة

وخطابات الغرام

وتصاويرَ اللواتي ..

كُنَ في عُمري كأسراب الحمام

والعبارات التي كانت على قلبيَ برداً وسلام

وتسليتُ كثيراً ...

وتبسمتُ كثيراً ..

وأنا أفتحُ كنزاً .... عمرهُ عشرونَ عام

أينَ من كُنَ حبيباتي ؟

ومن أرسلنَ لي هذا الكلام ؟

من تزوجنَ .... تزوجن

ومن أنجبنَ ... أنجبن

ومن ضعنَ بأعماق الظلام

والخطابات التي أرسلنها

لم تكن إلا ... كلاماً في كلام

والمواثيق التي أعطينها

كلها طارت ... كأسراب الحمام

آه .... كم ينقلبُ الإنسانُ في عشرينَ عام

جسمك خارطتي

زيديني عِشقاً.. زيديني

يا أحلى نوباتِ جُنوني

يا سَفرَ الخَنجَرِ في أنسجتي ..

يا غَلغَلةَ السِّكِّينِ..

زيديني غرقاً يا سيِّدتي

إن البحرَ يناديني

زيديني موتاً..

علَّ الموت، إذا يقتلني، يحييني..

جِسمُكِ خارطتي.. ما عادت

خارطةُ العالمِ تعنيني..

أنا أقدمُ عاصمةٍ للحزن

وجُرحي نقشٌ فرعوني

وجعي.. يمتدُّ كبقعةِ زيتٍ

من بيروتَ.. إلى الصِّينِ

وجعي قافلةٌ.. أرسلها

خلفاءُ الشامِ.. إلى الصينِ

في القرنِ السَّابعِ للميلاد

وضاعت في فمِ تَنّين

عصفورةَ قلبي، نيساني

يا رَمل البحرِ، ويا غاباتِ الزيتونِ

يا طعمَ الثلج، وطعمَ النار..

ونكهةَ كفري ، ويقيني

أشعُرُ بالخوف من المجهولِ.. فآويني

أشعرُ بالخوفِ من الظلماءِ.. فضُميني

أشعرُ بالبردِ.. فغطيني

إحكي لي قصصاً للأطفال

اضطجعي قربي ..

غنِّيني..

فأنا من بدءِ التكوينِ

أبحثُ عن وطنٍ لجبيني..

عن شعر امرأة ..

يكتُبني فوقَ الجدرانِ .. ويمحوني

عن حبِّ امرأةٍ.. يأخذني

لحدودِ الشمسِ .. ويرميني

عن شفة امرأة .. تجعلني

كغبار الذهب المطحون ...

نوَّارةَ عُمري، مَروحتي

قنديلي، بوحَ بساتيني

مُدّي لي جسراً من رائحةِ الليمونِ..

وضعيني مشطاً عاجياً

في عُتمةِ شعركِ.. وانسيني

أنا نُقطةٌ ماءٍ حائرةٌ

بقيت في دفترِ تشرينِ

يدهسني حبك .. مثل حصان قوقازي مجنون

يرميني تحت حوافره ..

يتغرغر في ماء عيوني ..

زيديني عشقاً زيديني

يا أحلى نوباتِ جنوني

من أجلكِ أعتقتُ نسائي

وشطبتُ شهادةَ ميلادي

وقطعتُ جميعَ شراييني...

وبر الكشمير

لا وقت لدينا للتفكير ..

أعصابي ليست من خشب

وشفاهك ليست من قصدير

يدك المطمورة تحت يدي ..

منديل مشغول بحرير

ومفاتن جسمك لا تحصى

والعمر قصير ..

لا وقت لدينا للتفكير ..

فأنا أتعاطى الشعر .. ولا أتعاطى - سيدتي - التفكير

عارية أنت .. كنصل السيف ..

ونـهدك يحملني .. ويطير ..

وانـا أتقلب فوق الريش ..

وأغرق في وبر الكشمير ..

فأماناً .. يا أمطار الفل ..

أماناً .. يا وبر الكشمير ..

واقتربي .. يا جزر البللور ..

فإن الموت عليك مثير ..

عيناك .. بحالة تعتيم

والجو مطير ..

و أنا لا أطلب تفسيراً

ما قتل الحب سوى التفسير

إنـي أهواك .. وذاكرتـي

في أقصى حالات التخدير

أهواك .. وأجهل ماذا كنت ..

ومن سأكون ..

وأين أصير ..

أهواك .. إلى حد التدمير

وأسير إليك كما البوذي

إلى أعماق النار يسير ..

سيدتي !

هذا عصر العنف ..

وعصر الجنس ..

وعصر الدهشة والتغيير ..

فلنهرب من سيف السياف ،

وقصة عنترة والزير ..

مدفون جسمك ، تحت الرمل الساخن ، من أيام جرير

مهروس نهدك ، مثل شريحة لحم ، في أسنان أمير ..

لا وقت لدينا للتاريخ ..

فنصف حوادثه تزوير ..

إقتربي ..

إقتربي مني ..

ولنكسر آلاف الاشياء ..

فلا تعمير .. بلا تكسير

من جسمك تنطلق الغزوات ..

ومنه .. سيبتدئ التحرير ..

قصيدة التحدّيات

أتحدى كل عشاقك يا سيدتي

من ملوك ،

و مشاهير ،

وقواد عظام ..

أن يكونوا صنعوا تختك من ريش النعام ..

أو يكونوا أطعموا نهديك .. يا سيدتي

بلح البصرة ..

أو توت الشام ..

أتحداهم جميعاً ..

أن يخطوا لك مكتوب هوى

كمكاتيب غرامي ..

أو يجيئوك - على كثرتهم -

بحروف كحروف ، وكلام ككلامي ..

*****

أتحدّى..

من إلى عينيكِ، يا سيّدتي، قد سبقوني

يحملونَ الشمسَ في راحاتهمْ

وعقودَ الياسمينِ

أتحدّى كلَّ من عاشرتِهمْ

من مجانينَ، وأطفال ، ومفقودينَ في بحرِ الحنينِ

أن يحبّوكِ بأسلوبي، وطيشي، وجنوني

****

أتحدّى

كتبَ العشق ومخطوطاتهِ

منذُ آلافِ القرونِ

أن ترَيْ فيها كتاباً واحداً

فيهِ، يا سيّدتي، ما ذكروني

أتحدّاكِ أنا.. أنْ تجدي

وطناً مثلَ فمي

وسريراً دافئاً.. مثلَ عيوني

***

أتحدى ..

كل من جاؤوك ، يا سيدتي ، من آسيا

بصناديق الحلى ، وقوارير العطور

فمن الصين الأواني

ومن الهند البخور ..

أتحدى ..

كل من جاؤوك من إفريقيا

بصنوف العاج ، أو جلد النمور

واشتروا حبك يا سيدتي

بخرافي المهور ..

أتحداهم جميعاً ..

أن يكونوا اكتشفوا ..

كيف تغفو بين أهدابك آلاف الطيور

أو يكونوا اقتنعوا ..

أن نهديك يدوران كما الشمس تدور .

أتحداكِ أنا أن تذكُري

رجلاً من بينِ من أحببتهم

أفرغَ الصيفَ بعينيكِ.. وفيروزَ البحورْ

أتحدّى

مفرداتِ الحبِّ في شتّى العصورْ

والكتاباتِ على جدرانِ صيدونَ[2] وصورْ

فاقرأي أقدمَ أوراقَ الهوى

تجديني دائماً بينَ السطورْ

---

[2] مدينة صيدا اسمها باللاتينية وباليونانية "صيدو" وبالعبرانية "صيدون". لا يوجد تفسير واضح عن أصل التسمية. فمنهم من ذكر أنها تنسب إلى صيدون ابن كنعان. كما يعتقد أن الاسم مشتق من كثرة السمك في شواطئها أو نسبة إلى أهلها الأقدمون الذين عملوا كصيادي أسماك.

إنني أسكنُ في الحبّ

فما من قبلةٍ..

أُخذتْ.. أو أُعطيتْ

ليسَ لي فيها حلولٌ أو حضورْ

****

أتحدّى أشجعَ الفرسانِ.. يا سيّدتي

وبواريدَ القبيلة

أتحدّى من أحبُّوكِ ومن أحببتِهمْ

منذُ ميلادكِ.. حتّى صرتِ كالنخلِ العراقيِّ.. طويلة

أتحدّاهم جميعاً

أن يكونوا قطرةً صُغرى ببحري

أو يكونوا أطفأوا أعمارَهمْ

مثلما أطفأتُ في عينيكِ عُمري

أتحدّاكِ أنا.. أن تجدي

عاشقاً مثلي

وعصراً ذهبياً.. مثلَ عصري

****

فارحلي، حيثُ تريدينَ.. ارحلي

واضحكي،

وابكي،

وجوعي،

وتعري ،

فأنا أعرفُ أنْ لنْ تجدي

غابة فيها تنامينَ كصدري

بَريدُ بَيْروتْ

أكتب من بيروت ، يا حبيبتي

حيث المطرْ

محبوبةٌ قديمةٌ تزورنا بعد سفرْ

أكتب من مقهى على البحر

وأيلول الحزين

بلل الجريدهْ

وأنتِ تخرجين

كل لحظةٍ من قدح القهوة.. يا حبيبتي

و أسطرِ الجريدهْ

مضت شهورٌ خمسة

هل أنت يا صديقتي بخيرْ؟

أخبارنا عادية جداً

وبيروت كما عرفتها في أول الشتاءْ

مشغولة بحسنها كأكثر النساءْ

عاشقة لنفسها.. كأكثر النساءْ

طيبةٌ . قاسية

ذاكرةٌ . ناسية

كأكثر النساءْ

بيروت في الخريف.. يا حبيبتي

مشتاقة إليكِ

أيتها القريبة البعيدهْ

أيتها المدهشة الحضور ، كالقصيدهْ

أمطارها مشتاقةٌ إليكِ

أحجارها مشتاقةٌ إليكِ

وبحرها ، سافر من شطآنهِ

و صبّ في عينيكِ

*

بيروت يا حبيبتي

في هذه الأيام ، كالخرافهْ

أوراق أيلول على الأرض نحاسٌ وذهبْ

و (شارع الحمراء) يا حبيبتي

ثوب موَّشى بالقصبْ

الله كم أحتاج يا حبيبتي إليكِ

حين يجيء موسم الدموعْ

كم بحثتْ يداي عن يديكِ

في زحمة الشوارع المبللهْ

يا زهرة اللاوند[3] في دفاتري

يا وجعي الجميل ، يا هوايتي المفضلهْ

*

أكتب يا حبيبتي من مطعمٍ

كنا اكتشفناه معاً.. في (الرملة البيضاء)[4]

طاولتي تتركني

كراستي تتركني

ذاكرتي تتركني.. وتتبع الغمامْ

---

[3] اللاوند هو الخزامى lavender.

[4] اسم أحد شواطئ بيروت.

والمقعد الثاني الذي ملأتِهِ

بشاشةً و رِّقةً.. في سالف الأيامْ

يرفضني

يرسم حول مقعدي

إشارة استفهامْ

أكتب سطراً باكياً

أبدؤه بالشوق والسلامْ

أشطبه

أعاشق مثلي أنا.. يبدأ بالسلامْ ؟

أكتب سطراً ثانياً

أشطبه

أبحث عن أصابعي

عن لغتي

عن علبة الكبريتِ

عن عبارةٍ ما وردتْ في كتبِ الغرامْ

تسيطر الفوضى على مشاعري

يلفني الظلامْ

ما أصعب الكلامْ

نكتبه لامرأة نحبها

ما أصعب الكلامْ

أسئلة إلى الله

يا إلـهي !

عندما نعشق ماذا يعترينا ؟

ما الذي يحدث في داخلنا ؟

ما الذي يُكسر فينا ؟

كيف نرتد إلى طور الطفولة

كيف تغدو قطرة الماء محيطاً

ويصير النخل أعلى

ومياه البحر أحلى

وتصير الشمس إسواراً من الماس ثمينا

حين نغدو عاشقينا

يا إلـهي :

عندما يضربنا الحب على غير انتظار ..

ما الذي يذهب منا ؟

ما الذي يولد فينا ؟

كيف نغدو كالتلاميذ الصغار ..

أبرياء ساذجينا ..

ولماذا عندما تضحك محبوبتنا ؟

تمطر الدنيا علينا ياسمينا ..

ولماذا عندما تبكي على ركبتنا

يصبح العالم عصفوراً حزينا ؟

***

يا إلهي

ما يسمى ذلك الحب الذي ظل قروناً وقرونا ..

يقتل القتلى .. ويحتل الحصونا

ويذل الأقوياء القادرينا

ويذيب البسطاء الطيبينا

كيف يغدو شَعر من نهوى سريراً من ذهب ؟

وفم المحبوب خمراً وعنب

كيف نمشي وسط النار ..

و نلتذ بألوان اللهب ؟

كيف نغدو ـ عندما نعشق ـ أسرى

بعدما كنا ملوكاً فاتحينا ..

ما نسمي ذلك الحب الذي يدخل كالسكين فينا ؟

أنسميه صداعاً ؟

أم نسميه جنوناً ؟

كيف يغدو الكون في ثانية

واحة خضراء أو ركناً حنونا

حين نغدو عاشقينا

***

يا إلهي :

ما الذي يحدث في منطقتنا ؟

ما الذي يحدث فينا ؟

كيف تغدو لحظة الشوق سنينا

ويصير الوهم في الحب يقينا

كيف تختل أسابيع السنة ؟

كيف يلغي الحب كل الأزمنة ؟

فيصير الصيف يأتي في الشتاء

ويصير الورد ينمو في بساتين السماء

حين نغدو عاشقينا

***

يا إلهي

كيف نستسلم للحب ، ونعطيه مفاتيح الأمان

وإليه نحمل الشمع وعطر الزعفران

كيف ننهار على أقدامه مستغربينا

كيف نسعى لحماه .. قابلينا

كل ما يفعل فينا

كل ما يفعل فينا

***

يا إلهي :

إن تكن رباً حقيقياً .. فدعنا عاشقينا

تهويمات صوفية لتكوين امرأة

لو لم تكوني أنت في حياتي

كنت اخترعت امرأة مثلك يا حبيبتي

قامتها طويلة كالسيف

وعينها صافية

مثل سماء الصيف

كنت رسمت وجهها على الورق

كنت حفرت صوتها على الورق

كنت جعلت نهدها

حمامة شامية

وشرفة بحرية

تلامس الماء، ولا تخشى الغرق

كنت جعلت شعرها

مزرعة من الحبق[5]

وخصرها قصيدة

وثغرها كأس عرق

كنت اشتغلت ليلة بطولها

أصور ارتعاشة العقد

وموسيقى الحلق

لو لم تكوني أنت في لوح القدر

لكنت كونتك يا حبيبتي

بصورة من الصور

---

[5] الحبق هو الريحان.

كنت استعرت قطعة من القمر

وحفنة من صدف البحر وأضواء السحر

كنت استعرت البحر والمسافرين والسفر

كنت اخترعت الغيم يا حبيبتي

من أجل عينيك وأنزلت المطر

لو لم تكوني أنت في حياتي

ما كان في الأرض هواء..أو مياه ..أوشجر

ما كان في الأرض بشر..

لو لم تكوني أنت ياحبيبتي .. في الواقع

كنت اشتغلت أشهرا ...وأشهرا

على الجبين الواسع

وأشهرا ... وأشهرا

على الفم الرقيق والأصابع

كنت خلقت امرأة مثلك يا حبيبتي

شفافة اليدين

كنت على أهدابها رميت نجمتين

كنت على سريرها أضأت شمعتين

لكــن من مثلك يا حبيبتي

أيــــن تكــون ....أيــــن ؟

قصيدة غير منتهية في تعريف العشق

1

.. عندما قررت أن أكتب عن تجربتي في الحب،

فكرت كثيراً ..

ما الذي تجدي اعترافاتي ؟

وقبلي كتب الناس عن الحب كثيرا ..

صوروه فوق حيطان المغارات،

وفي أوعية الفخار والطين، قديماً

نقشوه فوق عاج الفيل في الهند..

وفوق الورق البردي في مصر ،

وفوق الرز في الصين..

وأهدوه القرابين، وأهدوه النذورا..

عندما قررت أن أنشر أفكاري عن العشق.

ترددت كثيرا..

فأنا لست بقسيس،

ولا مارست تعليم التلاميذ،

ولا أؤمن أن الورد..

مضطر لأن يشرح للناس العبيرا..

ما الذي أكتب يا سيدتي؟

إنها تجربتي وحدي..

وتعنيني أنا وحدي..

وتلغيني من التاريخ وحدي ..

إنـها السيف الذي يثقبني وحدي..

فأزداد مع الموت حضورا..

2

عندما سافرت في بحرك يا سيدتي..

لم أكن أنظر في خارطة البحر،

ولم أحمل معي زورق مطاط..

ولا طوق نجاة..

بل تقدمت إلى نـارك كالبوذي..

واخترت المصيرا..

لذتي كانت بأن أكتب بالطبشور..

عنواني على الشمس..

وأبني فوق نهديك الجُسورا..

3

حين أحببتك..

لاحظت بأن الكرز الأحمر في بستاننا

أصبح جمراً مستديرا..

وبأن السمك الخائف من صنارة الأولاد..

يأتي بالملايين ليلقي في شواطينا البذورا..

وبأن السرو قد زاد ارتفاعاً ..

وبأن العمر قد زاد اتساعاً..

وبأن الله ..

قد عاد إلى الأرض أخيرا ..

4

حين أحببتك ..

لاحظت بأن الصيف يأتي..

عشر مرات إلينا كل عام..

وبأن القمح ينمو..

عشر مرات لدينا كل يوم

وبأن القمر الهارب من بلدتنا..

جاء يستأجر بيتاً وسريرا..

وبأن العرق الممزوج بالسكر والينسون..

قد طاب على العشق كثيرا..

5

حين أحببتك ..

صارت ضحكة الأطفال في العالم أحلى..

ومذاق الخبز أحلى..

وسقوط الثلج أحلى..

ومواء القطط السوداء في الشارع أحلى..

ولقاء الكف بالكف على أرصفة " الحمراء " أحلى ..

والرسومات الصغيرات

التي نتركها في فوطة المطعم أحلى..

وارتشاف القهوة السوداء..

والتدخين..

والسهرة في المسرح ليل السبت..

والرمل الذي يبقي على أجسادنا من عطلة الأسبوع،

واللون النحاسي على ظهرك، من بعد ارتحال الصيف،

أحلى..

والمجلات التي نمنا عليها ..

وتمددنا .. وثرثرنا لساعات عليها ..

أصبحت في أفق الذكرى طيورا...

6

حين أحببتك يا سيدتي

طوبوا لي[6] ..

---

[6] التَّطويب : إشهار من قبل الكنيسة البابوية الكاثوليكية يُعْلَن بموجبه ترفيع أحد رجال الدين المرموقين من النصارى إلى منزلة القديسين، ويسمى أيضًا إعلان القداسة .ويمنح هذا الشخص مرتبة قديس. وتقام الصلوات والمهرجانات احترامًا وتكريمًا للقديس. وترسم له اللوحات، وتدعو الكنيسة جماهيرها كي تحذو حذو القديس، وتهتدي بسيرة حياته.قبل التطويب، تجري الكنيسة تحقيقًا دقيقًا عن حياة الشخص وما يتحلّى به من فضائل. وقد يتطلب الاختبار إبراز أدلة على وجود كرامات عديدة منسوبة إلى الشخص. ثم يُعلَن الشخص بأنه مثل يحتذى في اتباع أسلوب حياة مكرسة للعبادة والروحانيات. ولا يُرفع إلى منزل القداسة عن طريق التطويب إلا القليل من الناس، ولكن عدم تطويب شخص ما لا يعني ضمنًا أن الكنيسة لا تعتبره قد بلغ مرتبة القديسين.وفي بداية النصرانية كان رسل المسيح عليه السلام يُكرمون ويشتهرون بأنهم قديسون بالإعلان العام. وبحلول القرن الرابع الميلادي، كان بعض رجال الدين النصراني في عدد من المناطق يعاملون بوصفهم قديسين من قبل الجمهور، مما أدى في الغالب، إلى اعتراف الكنيسة بأكملها بهذه القداسة. وقد أصبحت طريقة التطويب، بالتدريج رسمية، وكان أول من طُوّب رسميًا هو القديس ألْريك عام 993م، من أهالي أوغسبورغ.

كل أشجار الأنـانـاس بعينيك ..

وآلاف الفدادين على الشمس،

وأعطوني مفاتيح السماوات..

وأهدونـي النياشين..

وأهدونـي الحريرا

7

عندما حاولت أن أكتب عن حبي ..

تعذبت كثيرا..

إننـي فـي داخل البحر ...

وإحساسي بضغط الماء لا يعرفه

غير من ضاعوا بأعماق المحيطات دهورا.

8

ما الذي أكتب عن حبك يا سيدتي؟

كل ما تذكره ذاكرتي..

أنني استيقظت من نومي صباحا..

لأرى نفسي أميرا ..

الشجرة

كوني..

كوني امرأة خطرة..

كي أتأكد - حين أضمك -

أنك لست بقايا شجرة..

احكي شيئاً..

قولي شيئاً..

غني. ابكي. عيشي. موتي.

كي لا يُروى يوماً عني

أن حبيبة قلبي .. شجرة ..

كوني السم.. وكوني الأفعى

كونى السحر..وكونى السحرة

لفي حولي..

لفي حولي..

كي أتحسس دفء الجلد، وعطر البشرة..

كي أتأكد - يا سيدتي -

أن فروعك ليست خشباً..

أن جذورك ليست حطباً..

سيلي عرقاً..

موتي غرقاً..

كي لا يُروى يوماً عني

أني كنت أغازل شجرة..

كوني فرساً.يا سيدتي

كوني سيفاً يقطع..

كونـي قبراً..

كونـي حتفاً..

كونـي شفة ليست تشبع

كونـي صيفاً أفريقياً..

كونـي حقل بهار يلذع..

كونـي الوجع الرائع..إنـي

أصبح رباً .. إذ أتوجع

غنـي.ابكي.عيشي.موتـي

كي لا يُروى يوماً عنـي ..

أنـي كنت أعانق شجرة ..

كونـي امرأة .. يا سيدتـي ..

تطحن فى نـهديـها الشُهُبا

كوني رعداً

كوني برقاً

كوني رفضاً

كوني غضباً

خلي شعرك يسقط فوقي ..

ذهباً.. ذهباً

خلي جسمك فوق فراشي

يكتب شعراً..

يكتب أدبا ..

خلي نهدك فوق سريري

يحفر قدره

كوني بشراً يا سيدتي ..

كوني الأرض، وكوني الثمرة ..

كي لا يُروى يوماً عني ..

أني كنت أضاجع.. شجرة..

النساء والمسافات

أتركيني.. حتى أفكر فيك

وابعدي خطوتين كي أشتـهيك

لا تكونـي حبيبتي رغم أنفي

فالبقاء الطويل لا يبقيك

استعيضي..عنـي بأي كتـاب،

أو صديق، أو موعد، أرجوك

أنت في القرب تـخسرين كثيرا

فاذهبي أنت ...وأتركي لـي شكوكي

نـهدك الآن .. قد تخلى عن العرش

وقد كان من كرام الملوك

وشذاك المثير صار رمادا

أفأرثي شذاك أم أرثيك

سافري.. سافري إلى جزر الحلم

فإن الرحيل قد يدنيك

لا تبيحي جميع ما أتمنى

وارفضي دعوتي إذا أدعوك

ما تمنيت أن أحيلك زراً

في قميصي ، أو معطفاً أرتديك

أنت مثل النبيذ يُحسى برفق

فلماذا بلحظة أنهيك ؟

آه .. يا امرأة بغير ذكاء

أوَ تبكين؟ ما الذي يبكيك؟

أنت أحلى ـ تأكدي ـ أنت أحلى

حين في عالم الرؤى ألتقيك

انهضي عن تنفسي لحظات

فالحصار العقيم لا يجديك

شهوتي قد تخشبت... وشفاهي

لم تعد يا صديقتي تكفيك

إنني قد نسيت أبعاد جسمي

في متاهات شعركِ المفكوك

فامنحيني ولو إجازة يوم

علني.. علني أفكر فيك

*****

قد تكونين كل شي .. ولكن

لن تكوني رباً بغير شريك

تنويعات موسيقية على امرأة متجردة

1

كان في صدرك ديكان جميلان ..

يصيحان كثيراً ..

وينامان قليلاً ..

وأنا كنت بلا نوم ..

وكان الشرشف المشغول بالإبرة ..

مزروعاً عصافير ..

ووردا ..

ونخيلا ..

كيف يأتي النوم يا سيدتي ؟

كيف يأتي ؟

وحقول الشاي في سيلان ، تدعوني ..

وأدغال البهارات ..

وجوز الهند ..

لا تترك للنوم سبيلا ..

أنت نامي .. فأنا من يوم ميلادي بلا نوم ..

وأعصابي كأسلاك من القش ..

ووجهي كقصاصات المجلات القديمة ..

ما احترفت القتل من قبل .. ولكن ..

سمك القرش الذي يقفز من خلجان نهديك

البدائيين .. يغريني بتنفيذ الجريمه

2

.. كان في صدرك حقلان من القطن ..

وكان البُرنـُس الأحمر .. مفتوحاً من النصف ..

وجرحي كان مفتوحاً من النصف ..

وكان المرمر الأخضر في الحمام ..

مذبوحاً من الشوق ..

وكانت رغوة الصابون ، واللاوند ..

تجتاح البراويز

وتجتاح الثريات ..

وتجتاح مساماتي ..

وترميني على الأرض شظايا ..

3

كان نهداك خروفين صغيرين ..

وكانا .. يأكلان العشب من صدري ..

وكان الصوف من كشمير .. منثوراً على وجهي ..

وقمصاني ..

وفي كل الزوايا ..

كنت كالبللور مكسوراً على الأرض ..

وكانت قهوتي تشربني ..

والبرنس المبتل بالماء ..

يناديني ..

ويهديني ملايين الهدايا ..

4

.. كان نـهداك حصانين بلا سرج ..

وكانا يشربان الماء من قعر المرايا ..

وأنا من أمة تحترم الخيل ..

وما للخيل من طبع كريم .. وسجايا

آه لو قدمت لوزاً للحصانين ..

وتيناً .. وزبيباً ..

آه ..

لكن هاجرت مني يدايا ..

شهوتي سيف حجازي ..

ونـهداك كأرض الروم ..

من مات على أسوارها ..

كفر عن كل الخطايا ..

5

كان نـهداك مليكين عظيمين ..

وكانـا يحكمان البر والبحر ..

وكان العدل موفوراً ..

وكان الخبز موفوراً ..

وكان الشعب يدعو للمليكين .. بطول العمر ..

في كل الميادين .. وفي كل التكايا ..

وأنا من حسن حظي أنني ..

عاصرت نـهديك ..

وقدمت ولائي لـهما ..

مثل ملايين الرعايا ..

6

.. كان يا ما كان ..

في صدرك أسماك .. وخيل .. وديوك

وملوك .. وزغاليل حمام

وزغاريد صبايا ..

وأنا كنت على سجادة الكاشان[7] مرمياً ..

ومن حولي نثارات شموس ..

وفتافيت مرايا ..

---

[7] كاشان أو قاشان هي مدينة إيرانية تقع في محافظة أصفهان وسط إيران، يقدر عدد سكانها عام 2005م بحوالي 272 ألف نسمة. تقع كاشان في واحة زراعية وسط منطقة صحراوية. تشتهر كاشان بصناعة البلاط المعروف باسم الكاشي أو القاشاني نسبة لمدينة كاشان أو قاشان. كما أنها تشتهر بصناعة النسيج والحرير والسجاد. تضم المدينة العديد من المعالم الأثرية كالمساجد والمدراس والخانات بحكم قرب موقعها من طريق الحرير التاريخي الذي كانت تسلكه قوافل التجار قديماً من الصين إلى المشرق. ومن أحد المعالم الموجود في المدينة هي حديقة فين.

اللجوء

لو كنت أعرف ما أريد ..

ما جئت ملتجئاً إليك كهرة مذعورة ..

لو كنت أعرف ما أريد ..

لو كنت أعرف أين أقضي ليلتي

لو كنت أعرف أين أسند جبهتي ..

ما كان أغراني الصعود

لا تسألي : من أين جئت ، وكيف جئت ، وما أريد ..

تلك السؤالات السخيفة ما لديَّ لها ردود ..

ألديك كبريت وبعض سجائر ؟..

ألديك أي جريدة

ما هم ما تاريخها

كل الجرائد ما بها شيء جديد ..

ألديك - سيدتي - سرير آخر

في الدار ، إني دائماً رجل وحيد

أنت ادخلي نامي ..

سأصنع قهوتي وحدي ،

فإني دائماً .. رجل وحيد

تغتالني الطرقات .. ترفضني الخرائط والحدود

أما البريد .. فمن قرون ليس يأتيني البريد

هاتي السجائر .. واختفي

هي كل ما أحتاجه ..

هي كل ما يحتاجه الرجل الوحيد

*

لا تقفلي الأبواب خلفك ..

إن أعصابي يغطيها الجليد

لا تقفلي شيئاً ..

فإن الجنس آخر ما أريد ..

حوار مع امرأة من خشب

لو كنت في مكاني ..

ما تفعلين يا ترى لو كنت في مكاني ؟

مضطرة أن تعشقي ..

عشرين ألف مرة في اليوم ..

وتذبحي ، كالديك ، يا صديقتي

عشرين ألف مرة في اليوم ..

وتيأسي . وتضجري

وترعدي . وتمطري

وتؤمني . وتكفري

عشرين ألف مرة في اليوم ..

لو كنت ، يا صديقتي ، مضطرة

أن تلعبي مثلي على أكثر من حصان ..

وترقصي مثلي ..

على ألسنة اللهيب والدخان

لو ابتلاك الله بالعشق ..

كما ابتلاني ..

ما تفعلين يا ترى لو كنت في مكاني ..

مضطرة أن تعشقي ..

قبائلاً شتى من النساء

وتفعلي الحب مع الأشجار ، والأحجار ، والهواء

وتشنقي مثلي على حبال الجنس

في الصباح والمساء ..

والصيف ، والشتاء ..

لو كنت يا صديقتي مضطرة

أن تشربي ، من غير ما ارتواء

وتشتهي ، من غير ما اشتهاء

وتسكني في مدن الدموع والبكاء ..

لو كنت يا صديقتي مضطرة ..

أن ترجعي ..

في آخر الليل كأي بهلوان ..

مسحوقة ، مهزومة ..

كأي بهلوان ..

منفية خلف حدود الوقت والثواني

*

وددت يا صديقتي

أن تأخذي مكاني ..

وأن تعاني نصف ما أعاني ..

رصاصة الرحمة

مثلما تطرد الغيوم الغيوما

الغرام الجديد يمحو القديما

قضي الأمر .. والتقيت بأخرى

والسماء استعدتها ، والنجوما

لا تموت الخيول برداً وجوعاً

إن للعاشقين رباً رحيما ..

انتهت أزمتي ، وفكت قيودي

بعدما كنت قاصراً ويتيما ..

وكسرت احتكار عينيك بالعنف

وأنقذت جيشي المهزوما ..

فإذا أنت حائطٌ أثريٌ

والرسوم العليه .. لسن رسوما ..

يا أنانية الشفاه ، اعذريني

لا يظل الحليم دوماً حليما

جاء يوم الحساب بعد انتظار

وتحديت مجدك المزعوما

إنني عاشق سواك .. وعندي

امرأة بدَّلت جحيمي نعيما

هي أحلى وجهاً ، وأطيب نفساً

وهي أشهى عطراً ، وأزكى شميما

ما اسمها ؟ من تكون ؟ تلك شؤوني

فاقطري غيرة ، وفيضي سموما

ليس قصدي إذلال نهديك .. لكن

جاء دوري لكي أكون لئيما

صورة دوريان غراي[8]

[8] هو اسم رواية للكاتب الإنجليزي أوسكار وايلد. وملخصها أنه في أحد قصور لندن الفارهة، وأثناء إحدى الحفلات الرسمية، يلتقي الرسام الطيب القلب "بازيل هولوورد" بالشاب "دوريان غراي"، فيُبهر الرسام بشخصية الشاب الساحرة الطاهرة الودودة، وبجماله الطاغي الفاتن الأخاذ.

بحسب رأي "بازيل": في تاريخ العالم عصران مهمان، عصر ظهور أداة جديدة للتعبير الفني، وعصر ظهور شخصية جديدة تصبح موضوعاً للفن، فاختراع الرسم بالزيت كان له من الأهمية عند أهل البندقية ما كان لوجه أنتينوس في الفن اليوناني القديم.

تملّكت بازيل، لحظة لقاءه دوريان غراي، الروح الفنية، وأدرك حينها أن دوريان بروحه النقية العذبة، وبجماله السماوي الخلاب، سوف يكون موضع ومحرك وملهم ومسيّر وسيد فنه؛ فيطلب منه حينها الحضور لمنزله لرسمه، يلبي دوريان طلبه، ويأتيه بعد عدة أيام، ويبدأ بازيل برسم لوحة له، بالحجم الطبيعي، بكل ما أوتي من قدرة وموهبة.

في المشهد الافتتاحي للرواية، كان بازيل على وشك الانتهاء من لوحة دوريان غراي، وكان يجالسه حينذاك اللورد "هنري وتون.. "

لو كتب حضرة الشيطان بنفسه رواية لإغواء الناس، لما استطاع أن يجيء بما جاء به "أوسكار وايلد" على لسان اللورد" هنري وتون.. "

عندما يتحدث اللورد هنري فهناك عاصفة من الغواية والتضليل والتمرد، إعصار من الكلام الهادئ، الساحر، المرتب، المثقف، الساخر، المستهزئ، الذكي، الفتاك. فنظرة اللورد للعالم مشبّعه بالهيدونية (فلسفة اللذة) لدرجة لا يصلها "أبيقور" نفسه؛ في الواقع إن كل الضجة التي أثيرت حول لا أخلاقيات هذه الرواية كانت بسبب ما قاله هذا الرجل، وفي نفس الوقت، معظم محاولات تحليل الكوميديا والروح المرحة في حوارات هذا العمل، كانت تستند لما قاله هذا الرجل أيضاً.

أثناء جلوس اللورد والرسام، يدخل الخادم ليقول أن دوريان قد جاء، يطلب الرسام من اللورد الانصراف حتى لا يفسد الشاب بحديثه وأرائه، ولكن اللورد يرفض ويصرّ أن يقابل دوريان.

بعد أن انتهى بازيل من رسم دوريان، ينشغل بوضع لمساته النهائية على العمل، يخرج حينها اللورد ودوريان للحديقة، يتبادلان أطراف الحديث، يقول اللورد لدوريان أن الجمال نوع من النبوغ، بل الجمال أعلى قدراً من النبوغ، والجمال يحكم العالم ويّديره، ولا أحد ينازع الجمال في دولته، ثم يُخبر دوريان أن جماله سوف يذوي حين يرحل شبابه، ولسوف تولي أيام مجده يوم يرحل جماله.

يعود الشاب إلى المرسم وقلبه محطم كسير من قول اللورد، ويتمنى من أعماق قلبه الصافي أن تكبر الصورة ويخلد هو في شبابه..

فشلت جميع محاولاتي !

ويكون له ما أراد..

ويكون له، فوق ذلك، صحبة الرسام واللورد؛ لتبدأ بعد ذلك كل الصراعات الممكنة، ابتداء بـ (الصح والخطأ) نهاية بـ (الخير والشر) مروراً بـ (الجمال والقبح) و(الروح والحواس) و(اللذة والألم) و(الأبدي والفاني) و(الإثم والفضيلة) ويتوج ذلك كله بالصراع بين (الصورة والحقيقة).

صدرت رواية "صورة دوريان غراي" عام 1890، وتصنف تحت الرواية القوطية، والرواية القوطية هي إحدى نتاجات الحركة الرومانسية، وتعتمد في بناءها على الرعب والخيال والغموض، جدير بالذكر أنه قد تم تصوير الرواية كفيلم سينمائي مرات عديدة.

رواية "صورة دوريان غراي" من أكثر الأعمال الأدبية التي يقتبس منها، وهذا ليس مستغرباً، فقد قيل عن أوسكار وايلد: "إن كل ما يتحدث به يبدو وكأنه بين علامتي استشهاد"، بل إن طريقة بناء الحوار في أعمال أوسكار وايلد تعتمد على جعل الشخصيات تتحدث بجمل لها القابلية بأن تكون قولاً مأثوراً: جمل قصيرة، وموجزة، ومتراصة، تعبّر بتمرد عن أعقد المواضيع والآراء، بكل سخرية واستهزاء.

بالرغم من أن رواية "صورة دوريان غراي" عمل أخلاقي في نهاية المطاف، إلا أنها كانت صدمة مجلجلة حين نشرها، مما حدا بوايلد أن يضيف لها مقدمة بعد حين، يشرح فيها وجهة نظره عن الفن والفنان، وخلاصتها أن الفنان ليس سوى صانع أشياء جميلة، وأنه لا يوجد كتب أخلاقية وغير أخلاقية إنما يوجد كتب مكتوبة بشكل جيد وكتب مكتوبة بشكل رديء، وإننا نستطيع أن نصفح عن الرجل حين يصنع أشياء نافعة دام أنه لا يعشقها، بينما العذر الوحيد لصنع أشياء لا نفع منها هو أن نعشقها بجنون، والفن لا نفع منه إطلاقاً (يقصد نفع ولكن لا يقصد جدوى).

إن مقدمة أوسكار وايلد هذه تمثل رأي "الحركة الجمالية" التي كانت سائدة حينذاك، وكان أوسكار وايلد من أهم روادها، ومن أهم مبادئ هذه الحركة مبدأ (الفن للفن)، الذي عبّر عنه وايلد في مقدمته، وكتب على أساسه روايته، وفي الشعر يسمى هذا المذهب بـ "البرناسية" نسبة لجبل برناس في الميثولوجيا الإغريقية.

من أهم تضمينات مقدمة أوسكار وايلد لروايته هو أنه لا يجب أن تربط حياته الشخصية بشخصيات روايته، فالعمل قائم بحد ذاته، هذا بالرغم من أنه قال في موضع أخر، أن اللورد "هنري" هو الشخص الذي يعتقد الناس أني هو، والرسام "بازيل" هو ما أحسب أني إياه، بينما أطمع في النهاية أن أكون "دوريان غراي ."

في أن أفسر موقفي ..

فشلت جميع محاولاتي ..

ما زلت تتهميني ..

أني هوائي المزاج ، ونرجسي في جميع تصرفاتي ..

ما زلت تعتبريني

كقطار نصف الليل ، أنسى دائماً

أسماء ركابي ، وأوجه زائرتي ..

فهواي غيب ..

والنساء لدي محض مصادفات ..

ما زلت تعتقدين .. أن رسائلي

عمل روائي .. وأشعاري شريط مغامرات

وبأنني رجل يعيش حياته

من غير ذاكرة ، وغير مذكرات ..

وبأنني استعملت أجمل صاحباتي

جسراً إلى مجدي .. ومجد مؤلفاتي ..

ما زلت تحتجين أني لا أحبك كالنساء الأخريات ..

وعلى سرير العشق ، لم أسعدك مثل الأخريات ..

الله من طمع النساء ،

وكيدهن ..

ومن عتاب معاتباتي..

كم أنت رومنسية التفكير ، ساذجة التجارب

تتصورين الحب صندوقاً مليئاً بالعجائب

وحقول غاردينيا[9] ..

وليلاً لازوردي الكواكب

[9] الغاردينيا (بالإنكليزية Gardenia): جنس نباتي يضم 250 نوعاً من الفصيلة الفوية، وموطنه المناطق المدارية وشبه المدارية في إفريقيا وآسيا وأوقيانوسيا.

ما زلت تشترطين ..

أن نبقى إلى يوم القيامة عاشقين ..

وتطالبين بأن نظل على الفراش ممددين

نرمي سجائرنا ، ونشعلها ..

وننقر بعضنا كحمامتين ..

ونظل أياماً .. وأياماً ..

نحاور بعضنا بالركبتين ..

هذا كلام مضحك ..

أنا لست أضمن طقسي النفسي بعد دقيقتين ..

فلربما ، تتبخر الأنهار في عينيك ، بعد دقيقتين

ولربما تتيبس الأشجار في شفتي ..

بعد دقيقتين ..

ولربما يتغير التاريخ بعد دقيقتين ..

ونعود .. في خفي حنين ..

من عالم الجنس المثير ..

نعود في خفي حنين ..

فشلت جميع محاولاتي ..

في أن أفسر موقفي

فشلت جميع محاولاتي

فتقبلي عشقي على علاته

وتقبلي مللي .. وذبذبتي .. وسوء تصرفاتي

فأنا كماء البحر .. في مدي ، وفي جزري

وعمق تحولاتي ..

إن التناقض في دمي ، وأنا أحب تناقضاتي ..

ماذا سأفعل يا صديقة .. هكذا رُسِمت حياتي

منذ الخليقة ..

هكذا رُسِمت حياتي ..

أمية الشفتين

أمية الشفتين .. لا تتبرمي

إني أتيتك هادياً ومبشراً

حتى أعلمك الهوى .. فتعلمي

ما زال قانون القبيلة حاكماً

جسد النساء .. فحاولي أن تحكمي ..

إصغي إلي .. فإن وقتي ضيق

والقمح ينبت مرة في الموسم

خليك عاقلة .. ولا تستقبلي

مطر الربيع ، بوجهك المتجهم

كوني كما كل النساء .. فإنني

لا أعرف امرأة تعيش بلا فم

هذي تعاليمي أمامك .. كلها

سترين فيها جنتي .. وجهنمي

إن كنت حتى الآن لم تستوعبي

ما جاء فيها .. فاسألي واستفهمي

أنا لا أريد عليك فرض مواقفي

إن كان يعجبك الكلام .. تكلمي

أو كنت ترتاحين في شتمي .. اشتمي

فالحب بالإكراه .. ليس هوايتي

والعنف ـ سيدتي ـ يزيد تأزمي

سأكون نذلاً .. لو جررتك للهوى

جر النعاج .. فحاولي أن تفهمي

*

خليك هادئة .. فليس بنيتي

أن أقلب الليل الجميل لمأتم

أنا لم أكن يوماً رئيس قبيلة

حتى أحبك بالأظافر والدم

لكنني رجل يحاول دائماً ..

تغيير خارطة السماء بشِعره

وبعشقه .. تغيير طقس الأنجم ..

حبوب منومة

تعب الكلام من الكلام

فخذي حبوب النوم ، سيدتي ، ونـامي

ما دام عريك لا يحرك شعرة

مني . لماذا أنت عارية أمامي ؟

ما دام فعل الحب .. صار عقوبة

كبرى .. فما معنى مقامي ؟

ما دام عطرك لا يثير شهيتي ..

ما دام جسمك ليس في وضع انسجام

فأنا أفضل أن تنامي

فنجان شايك بارد ..

وصقيع نصف الليل مفترسٌ عظامي

وأنا أحدق في الستائر ، والمقاعد ، والظلام

وأعيش أسوأ حالات انفصامي

ألقي على نهديك نظرة سائح

وأمر بالأشياء .. من غير اهتمام

ماذا جرى لأصابعي ؟

وأنا الذي حركت باللمسات عاطفة الرخام

ماذا جرى لزوابعي ؟

وأنا الذي في ذات يوم ..

كنت سلطاناً على عرش الغرام

ماذا جرى في داخلي ؟

هل أنت ذات المرأة الأولى .. التي أحببتها من قبل عام

هل أنت ذات المرأة الأولى ..

التي ملأت حياتي بالورود ، وبالنجوم ، وبالحمام

هل ناهداك هما اللذان تركت فوقهما حطامي ..

إني أشك بما أرى ..

وأشك في نفسي . وفيك ، وفي أكاذيب الغرام

فخذي حبوب النوم ، سيدتي ، ونامي

فأنا أريد بأي شكل أن تنامي ..

أن تنامي ..

أن تنامي ..

المقبرة البحرية

لم يعد ما بين نـهديك .. حياة أو بشر

لم يعد بينـهما عشب ..

ولا ظل شجر ..

والذين استوطنوا فوقهما

من أعاريب ، وبدو ، وحضر ..

حملوا خيمتهم وانصرفوا

بعدما جف المطر ..

بين نـهديك قرى محروقة

وملايين ملايين الحُفر ..

وبقايا سفن غارقة ..

ودروع لرجال قتلوا ..

لم يجيء عن واحد منهم خبر

كل من مر بنهديك اختفى ..

والذي ظل إلى الصبح انتحر ..

هذه مقبرة بحرية

دُفِن الآلاف فيها ..

من مغول ، ومجوس ، وتتر

لم يعد ما بين نهديك سوى شوك الضجر

والذين افترشوا ظلهما

ورأوا في ماء عينيك انعكاسات القمر

والذين انتظروا .. وانتظروا ..

رحمة الله ، طويلاً ، وأعاجيب القدر ..

قرروا الآن السفر ..

والذين احتفلوا واستبشروا ..

بملاقاة المسيح المنتظر ..

تركوا نـهديك يا سيدتي

حجراً .. فوق حجر

إيضاح إلى من يهمها الأمر

لن تغرقيني في هواك بشبر ماء..

فبداخلي .. مات المراهق من زمان

وانتهى الرجل البدائي..

أصبحتُ محترفاً ..

وصرتُ الآن أبرع في معاملة النساء

أملي شروط الفاتحين على ملايين الظباء

من كل نهد .. سوف أجبي جزية

وإذا عفوت .. فمن مواقع كبريائي

حسناء .. لا تبكي عليّ ..

فأنت أولى بالرثاء ..

لست الغبيّ ـ كما افتكرت ـ

وإنما مثّلـت دور الأغبياء

سيّان عندي

إن بقيتِ ، أو ارتحلتِ معِ المساء

أنا في شؤون الحبّ ، ما اعتدت التلفّت للوراء ..

إن تذهبي ..

لن تسقط الدنيا ، ولن تنسدّ أبواب السماء..

إن الكواكب في السماء كثيرة ..

جداً ..

وحبّ الصيف يمحو عادة .. حبّ الشتاء..

اعتزال التمثيـل

هذا هو الواقع يا عزيزتـي ..

بلا مساحيق ولا تجميل

فقرري .. ما شئتِ أن تقرري

فالجرح لا يحتمل التأجيل

لقد تساوى حبنا .. وكُرهنا

وأصبح البقاء كالرحيل

عزيزتـي :

لقد قرأنا صحف الصباح مرتين

وقد تطلعنا إلى الساعة مرتين

وقد تصافحنا ـ كما أذكر ـ مرتين

ولم يعد أمامنا ما نفعل

فنحن منذ نحو ساعتين

يقتلنا الفراغ والتململ

أنا هنا .. تمتصني سجائري

وأنت متوحشة ..

باردة اليدين ..

فحاولي أن تتفهمي ..

أن طيور الحب لا تطير مرتين

فالحب يا صديقتي مسافر

يأتي إلينا مرة .. ويرحل ..

هذا هو الواقع يا عزيزتي

بحلوه ، ومُره

بخيره ، وشره

ووجهه القبيح والجميل

أعرضه عليكِ في تجرد

فأنتِ لستِ امرأة ساذجة

ولا أنا أحترف التمثيل

يا ليتني أقدر يا صديقتي

أن أتقن التمثيل

المذبحة[10]

كنا ثمانية معاً ..

نتقاسم امرأة جميلة

كنا عليها كالقبيلة ..

كانت عصور الجاهلية كلها

تعوي بداخلنا ،

وأصوات القبيلة ..

*

كنا ثمانية ..

[10] مع شديد الأسف والأسى استغل الوهابيون لعنهم الله هذه القصيدة لمهاجمة شاعرنا الكبير والذي كفروه ونعتوه بأقذع الألفاظ لغيظهم من صراحته وفضحه لأولياء نعمتهم آل سعود .. ولكن القصيدة تفضحهم وتفضح خستهم ونذالتهم وتفضح ما يجري في قصورهم وما يجري منهم من اغتصاب جماعي وحشي ضد النساء.

وكان البدو فينا يصرخون ..

ويرقصون على الوليمة

كنا نعبر عن فحولتنا ..

فوا خجل الفحولة ..

*****

كنا ثمانية إذن ..

ووجوهنا ..

كانت مربعة الخطوط ومستطيلة

كنا نهاجمها كثيران ..

وكانت تقبل الثيران صابرة ذليلة ..

كنا نمزمز لحم نهديها ..

ونفترس الطفولة ..

ونردد الأشعار والحكم القديمة :

((إن مات منا سيد ..))[11]

كنا نرددها بإعجاب ،

ونفرك في شواربنا الطويلة ..

*****

كنا ثمانية على امرأة ..

وكان الليل يرثينا ..

وترثينا الرجولة ..

---

[11] الحكمة تقول : إن مات منا سيد قام سيد. وأصلها من بيت شعر للسموأل أو لأبيه شريح بن عاديا يقول فيه : إذا سيد منا خلا قام سيد قؤول لما قال الكرام فعول !

إلى صاحبة السمو .. حبيبتي سابقاً

.. وتزوجتِ أخيرا ..

بئر نفط ..

وتصالحتِ مع الحظ أخيرا ..

كانت السَحْبَة - يا سيدتي - رابحة

ومن الصندوق أخرجتِ أميرا ..

عربي الوجه .. إلا أنه ..

ترك السيف يتيماً .. وأتى

يفتح الدنيا شفاهاً .. وخصورا

فاستريحي الآن .. من عبء الهوى

طالما كنتِ تريدين أميرا ..

تتسلين به وقتاً قصيرا ..

يتسلى بك - يا سيدتي - وقتاً قصيرا

ويمد الأرض ، من تحتك ، ورداً وحريرا

فاشربي نفطاً .. وسبحان الذي

جعل البترول مسكاً وعبيرا ..

.. وتزوجتِ أخيراً ملكاً ..

من ملوك الخلفاء الراشدين

وملكتِ الدين والدنيا معاً ..

فاسجدي شكراً لرب العالمين

رازق الطير على أشكالها ..

مُسقِط الغيث ، ملاذ التائهين

باعث الأموات من أكفانهم

باريء المرضى ، وكافي المعدمين

واهب النفط لمن يختارهم

من بنيه الصالحين ..

.. كانت السحبة يا سيدتي رابحة

ـ مثلما قدرتِ ـ والصيد ثمين

وأنا غير حزين ..

لا تظني أبداً .. أني حزين

فأنا أعلم ، يا سيدتي ، علم اليقين

ما تـُسِرين .. وماذا تعلنين

وأنا أعرف يا سيدتي

أكثر الخيل التي كنتِ عليها تلعبين ..

وأنا أعرف يا سيدتي

كيف خططتِ سنيناً وسنين

لتصيدي ملكاً ..

من ملوك الخلفاء الراشدين ..

لم يفاجئني الخبر ..

حين طالعت الجريدة ..

ورأيتُ الشمع ، والأطفال ، والثوب الموشى بالذهب

ورأيتُ الرجل المسحوب بالقرعة ..

معروضاً كبرواز الخشب ..

لم يحركني الخبر ..

حين شاهدتك في كل الصور

تتثنين كطاووس .. شمالاً ويميناً

وتذوبين حياء وخفر

وتشدين على كف النبي المنتظر ..

لم يساورني العجب

فهواياتك كانت دائماً ..

جمع فرسان الخشب ..

.. وتأملتُ شعوري ..

وأنا أقرر أخبار زفافك

كيف لم أحزن .. ولم أفرح ..

ولا طرتُ سرورا ..

كيف لم أعبأ .. ولم أبرق ..

ولم أرسل زهورا ..

كيف في ثانية مات شعوري ..

فالتي أشعلتُ في معبدها قنديل عمري

لم تعد تعني قليلاً أو كثيرا ..

كيف ألقيت على الأرض الجريدة ؟

ونسيت العرس أضواء ، ورقصاً ، وكؤوسا

وتأملت التصاوير أمامي ..

غير أني لم أجد فيها العروسا ..

.. وتسليت كثيرا ..

حين أبصرتك يا سيدتي ،

تقطعين الكعكة الكبرى ..

وتمشين كما تمشي اللعب

وتضمين أمام الناس براوز الخشب

وتشيدين بأنساب قريش

وفتوحات العرب ..

وتعجبت لنفسي ..

لم أكن أشعر في أي أسى

لم أكن أشعر في أي غضب ..

فأنا أعرف يا سيدتي

أن أحلامك أن تلتقطي ..

بدوياً عاشقاً ..

يرهن التاريخ عند امرأة ..

ويبيع الله في جلسة جنس وطرب ..

*****

ألف مبروك .. أيا سيدتي

وأدام الله بترول العرب ..

الاستحالة

لم نمارس لعبة الحب معاً .. منذ شهور

وقعدنا .. مثل جنديين منهوكين

ألقينا على الأرض البواريد[12] ..

انهزمنا .. قبل ميعاد العبور

ورفعنا عالياً .. أعلامنا البيضاء ..

سلمنا المفاتيح .. قتلنا أجمل الخيل ،

وأحرقنا الجسور ..

.. وأخذنا ..

كالمجاذيب نعزي بعضنا بعضاً ..

لجأنا لقناني الخمر ..

---

[12] البواريد : جمع بارودة وهي البندقية.

حاولنا .. وحاولنا ..

ولكن المرايا رفضتنا .. وقوارير العطور

وتكلمنا ..

ـ ولا أذكر عن ماذا تكلمنا ـ

لعبنا ورقاً كي نصرعِ الوقت ..

قرأنا صحفاً من غير تاريخ ..

تمطينا طويلاً ..

وتثاءبنا طويلاً ..

وتعللنا بآلاف المعاذير ..

اختبأنا خلف جدرن الغرور ..

ومسحنا عرق الخيبة عن أوجهنا

وبحثنا ..

كجنود قطعت أخبارهم

ـ داخل الأكياس ـ عن شيء من الدفء ..

وعن شيء من الحب ..

ولكنا رجعنا بالقشور ..

وتبادلنا المراثي ..

وتضرعنا ..

وصلينا ..

وقدمنا إلى الله النذور ..

لم نكن نشعر بالحر .. أو البرد ..

ولا كانت السجادة الصينية الخضراء تمشي ..

والثريات على السقف تدور..

كانت الشمس صليباً من نحاس..

فوق رأسينا ..

وكنا مرفأي ملح ..

وكنا شجراً دون جذور ..

لم نكن مرضى ـ كما نحن تصورنا ـ

ولكنا أضعنا الدهشة الأولى

أضعنا ..

متعة الحدس بما بين السطور ..

وتدحرجنا إلى القعر .. قطارين ..

تناثرنا . امتلأنا بالشظايا والكسور ..

وتشوهنا تماماً ..

مثل مخلوقات ما قبل العصور ..

ورمينا وردة الشعر ..

تحولنا إلى نثر .. سقطنا في شراك الدبق اليومي ..

أفلسنا ..

تكررنا ..

تعودنا على الموت .. انتظرنا في كراسينا ..

كما ينتظر الأموات في أكفانهم يوم النشور

ورأينا ..

كيف ينمو الطحلب البحري في القلب ..

عرفنا ..

خدر الجلد .. وإفلاس الشعور

هل لدى سيدتي حل لإفلاس الشعور ؟

أنا ما عندي اقتراحات ..

خذيني حيثما شئت ..

أريني السفن البيضاء ، والأسماك ، والبحر

فإني لم أعد أذكر أسماء البحور

إسحبيني من وعاء الصمغ ، يا سيدتي

غيري هندسة الأشياء من حولي ..

أزيلي ورق الجدران ، والجدران ،

نجيني من الغربة والنفي ..

أعيدي زمن النعناع والماء ..

اكتبيني فوق أعشاب البراري

ومناقير الطيور ..

أوقفي أجهزة التكييف ، يا سيدتي ..

وافتحي الأبواب ..

عل الشمس تـُحيي مرة أخرى البذور

خلصيني من نظام الجبر والسخرة في الحب

ومن رائحة الزهر الصناعي ..

ومن رائحة الحب الصناعي ..

وإرهاب إشارات المرور ..

أنقذي نفسك يا سيدتي

أنقذيني ..

قبل أن تقتلنا ..

شقق الأسمنت ، والزهر الصناعي ..

وأضواء إشارات المرور ..

محاولة لاغتيال امرأة

واتفقنا

قبل أن ينقطع الخيط

بأن نبقى صديقين ككل الأصدقاء

وتحمسنا

وأكدنا

وكررنا:

((سنبقى عقلاء)).

ورسمنا خطة النسيان ، هيأنا البواريد ،

تآمرنا على قتل السماء

**

واجتمعنا

صُدفة في أول الصيف اجتمعنا

فنقضنا كل شيء

ونفينا كل شيء

ولحسنا فى ثوان

كل ما كنا كتبنا

واكتشفنا أن تخطيطاتنا

كانت دخاناً في الهواء

وبكينا .. واعتذرنا

وغرقنا .. وطفونا

مثلما ترتعش الأسماك في بركة ماء

وتداخلنا كما الإبرة والخيط

نسينا أننا صرنا صديقين ككل الأصدقاء

وتمددنا كسيفين على الأرض

ذبحنا وانذبحنا

ومحونا بعضنا من شدة الشوق

فعلنا الحب تكراراً .. وتكراراً

صرخنا مثل وحشين

نزفنا مثل وحشين

وأمطرنا وأرعدنا

وتبنا

وكفرنا

وركضنا

فى براري الحب أحرارا

وثبنا كحصانين إلى الشمس

دخلناها

فتحناها

جرحناها حنيناً .. وانجرحنا

وعرفنا الجنس فى أحلى ثوانيه

وفى أقسى ثوانيه

تلاصقنا

تباعدنا

تبادلنا اللفافات

تحدثنا قليلاً .. وسكتنا

وتجاوزنا ملايين الإشارات

تحدينا

تعرينا من التاريخ .. من مُلك بني عثمان

من عصر المماليك

ومن رقص الدراويش

قرأنا عن أبي زيد الهلالي

وعن مجنون ليلى

وضحكنا

ونسينا اللغة الأم

اخترعنا لغة أخرى

لفظنا جملاً مبتورة .. فارغة من أى معنى

ورمينا جانباً

أقنعة الشمع وعقل العقلاء

وتعمدنا بماء الحب والجنس

تطهرنا

رجعنا أبرياء

ونسينا حين جاء الصيف

ما قلناه أيام الشتاء

ونسينا

أننا صرنا صديقين ككل الاصدقاء

الالتصاق

1

هل سنبقى سنة أخرى على هذا السرير؟

نتعاطى الشاي ، والزبدة .. والجنس ..

على نفس السرير ؟

إنني أحفظ جغرافية النهدين .. يا سيدتي

عن ظهر قلب ..

وأنا أعرف كالتلميذ أخبار الحضارات التي

قد نشأتْ بينهما ..

عن ظهر قلب

وانا أعرف طعم العرق المالح يجري من مساماتك ..

والجرح الطفولي على ركبتك اليسرى ..

.. وهذا الوبر النامي على سلسلة الظهر ..

كأسلاك الحرير

والدبابيس التي ترقد في شعرك ،

والعطر الذي يستعمل السكين في الإقناع ..

والنهد الذي يحترف القتل وَجاهياً ..

وما زال على القتل صغير ..

وأنا أعرف وقت المد والجزر ..

وتوقيت الإعصار ..

وأشكال النباتات ..

وأسماء العصافير التي تنقر من ثغرك ..

رماناً .. وقمحاً .. وتطير ..

2

هل سيبقى جسدي مستنفراً

مثل جواد عربي ..

راكضاً فوق المرايا ..

ومداسات البيانو ..

وصناديق الحُلِيّ ..

هل سأبقى ؟

ذاهلاً في حضرة النهد ذهول البدوي ..

إنني آمنتُ يا سيدتي ..

أن شكل الأرض شكل كروي ..

3

هل سنبقى سنة أخرى ..

على هذا الفراش الفوضوي ؟

نكتسي حيناً ..

وحيناً نتجرد

هل بدأنا ؟

نستطيب النوم في زنزانة الجنس المؤبد ..

هل تحولنا إلى نقش ..

على قبر أمير بابلي ؟

هل بدأنا نتعود ؟

هذه الرائحة العالية الصوت .. أنا اعتدتُ عليها

مثلما اعتادتْ عليَّ ..

فإذا رأسك .. إقليمٌ صغير فوق صدري

وإذا أنتِ امتدادٌ ليدي ..

4

آه يا سيدتي !

كم أنا مختجل منك وآسف

فأنا أعرف ـ حتى ـ

عدد الخيطان في هذي الشراشف

عبثاً .. أبحث في عينيك عما أجهله ..

عبثاً أبحث ..

عن أي سؤال أسأله ..

إنني أعرف كالسياح أحجام التماثيل ..

من العصر النحاسي إلى اليوم ..

وأشكال الأباريق ..

من العصر الفينيقي إلى اليوم ..

وأنواع الرسوم الفارسيات ..

وأعمال رفائيل ،

وفان كوخ ،

وبيكاسو ،

وغويا ..

ويواقيت بني عثمان ..

والنقش البزنطي على أبواب نهديك ..

وفوح المسك ، والنارنج .. من تحت السوالف ..

آه .. يا سيدتي ..

آه .. ما أشقى أدِلاء المتاحف..

5

نحن جربنا الهوى قبل العشاء ..

ثم جربناه ما بعد .. وأثناء العشاء ..

وسحقنا بعضنا مثل طواحين الهواء..

ثم ماذا ؟

إنني أعلم عن جسمك ما يجهله ..

كل أصحاب الكرامات ..

وكل الأولياء ..

وأنا أعلم بالتفصيل يا سيدتي

كل واد فيه ،

أو سنبلة ..

أو نبع ماء ..

هكذا يفعل كل الأغبياء ..

6

إرفعي الأغطية البيضاء ..

فالحر شديد ..

وفمي ممتليء بالسمك الميت .. واللحم القديد

لم يعد يبهرني شيء ..

ولا يدهشني شيء ..

ولا أدري إذا كنتُ شقياً .. أم سعيد

فلقد أدمنتُ أيام البطالة

أنا لا أفعل شيئاً ..

غير تبريد الزجاجات .. وتدخين السجائر

أنت لا تدرين شيئاً ..

غير تقليب المجلات .. وتقليم الأظافر

ليتنا نفتح يا سيدتي إحدى الستائر ..

فأنا اشتقتُ لأخبار العصافير ..

وأخبار المطر ..

وأنا اشتقتُ كثيراً ..

لنداءات الصواري ..

ودهاليز القطارات ..

وأوراق السفر ..

وأنا اشتقتُ كثيراً .. وكثيراً ..

لمظلات المقاهي ..

ولأضواء الدكاكين .. وأصوات البشر

ليتنا نفعل شيئاً ..

قبل أن يذبحنا سيف الضجر ..

الفهرس